الجبهة المنْسيّة : كسْب قلوب وعقول المسلمين في جنوب شرق آسيا *

كريستوفر بوند ولويس سايمونز

ليست الزيارة التي قام بها الرئيس باراك أوباما إلى أندونيسيا في نوفمبر مجرد رحلةٍ عاطفية إلى مرابع طفولته الأولى. بل إنها تُمثّل محاولة متجددةً لكسْب انتباه المسلمين واحترامهم. وهكذا فلا ينبغي أن نُصاب بالإحباط لجمود العملية السلمية في الشرق الأوسط، ولا بسبب الأحداث الهائلة الجارية على الجبهة الباكستانية-الأفغانية. إنّ علينا أن نركّز جهودَنا أيضاً على جنوب شرق آسيا، وهي أقاليم وجهاتٌ تتقدم باتجاه الديمقراطية والسلم، كما أنها بدأت بمواجهة الأصولية الإسلامية.

إنّ المرة الأخيرة التي نظر فيها الأميركيون باتّجاه جنوب شرق آسيا، كانت عندما راقبوا عبر وسائل الإعلام عمليات إجلاء الرعايا الأميركيين وإدارتهم وبعض الفيتناميين من سايغون عاصمة فيتنام التي كان الفيتكونغ يتقدمون نحوها عام 1975م. أما كمبوديا ولاوس فقد سيطر عليهما أيضاً شيوعيوهما؛ في حين كانت تايلاند ترتعد تحت وطأة الخوف من أن يعبر الفيتناميون الشماليون إليها بدباباتهم فوق نهر الميكونغ. وبعد ثلاثين عاماً على تلك الواقعة ما عاد الأميركيون يهتمون بهذا الجانب من العالم. ففي سنوات من الستينات والسبعينات كانت مصائر الولايات المتحدة مرتبطة بهذا الجانب من العالم، وبعد سنواتٍ قليلةٍ كان هذا الجانب قد نُسيَ تماماً.

وهذا نموذجٌ من التصرفات التي اعتادت عليها الولايات المتحدة. إذ تترك واشنطن وتتجاهل بلداً أو منطقةً حتى ينفجر الصراعُ فيه، فتنصرف إليه فجأةً باهتمامها الكلي لكن المتأخر. وعندما يفشل الأمر تنصرفُ عنه إلى تركّزٍ مبتئسٍ حول الذات وعقدة الذنب؛ لحين ظهور أزمةٍ أخرى في بلدٍ آخر! وهذا ما فعلتْه الولايات المتحدة مع أفغانستان إذ نسيتها في التسعينات حينما لم تَعُدْ ضرورية لمُصارعة السوفيات. وقد يحدث ذلك من جديد مع جنوب شرق آسيا إن لم تستيقظ الولايات المتحدة وتهتم لمصائر تلك المنطقة المتزايدة الأهمية.

يضم جنوب شرق آسيا 250 مليون مسلم يتركزون في أندونيسيا وماليزيا والفيليبين وسنغافوره وتايلاند. وهذه الدائرة هي التي كانت عقدة الولايات المتحدة أيام حرب فيتنام. وأندونيسيا هي أكبر مَواطن الإسلام؛ إذ إنّ عدد مسلميها 220 مليوناً، أي أكثر ثلاث مرات من عدد المصريين، ومصر بدورها هي أكبر البُلْدان العربية. لكنّ أندونيسيا تظلّ رغم ضخامتها غير معروفةٍ من الأميركيين. وعبر حوالي نصف القرن من الزمان، كانت الحكومة الأندونيسية بين أكثر حكومات العالم استبداداً. لكنْ في يوليو الماضي أجرت

أندونيسيا تجربة ممتازةَ في الديمقراطية حين أقبل 119 مليوناً من الناخبين المسلمين وغير المسلمين على إعادة انتخاب الجنرال المتقاعد سوسيلو بامبانغ يودويونو رئيساً لخمس سنواتٍ أخرى. وقد ذكر المراقبون الأندونيسيون والغربيون أنّ الانتخابات كانت حرةً وشفّافة. وإذا تأملنا ذلك في ضوء التاريخ المُحدَث للبلاد؛ فإنّ ذلك يُعتبر إنجازاً بكلّ المقاييس. وتجاهلت وسائل الإعلام الأميركية الحَدَث، إلى أن حدث بعد أسبوع اعتداءٌ على فندقين يملكهما أميركيون، فمات عشرةُ أناسٍ، وجُرح أكثر من خمسين.

ولأنّ الصراع ضدّ الشيوعية ما عاد أكثر من موضوعٍ من موضوعات الذاكرة البعيدة؛ فإنّ ما صار الأميركيون يهتمون له الآن هو مصارعةَ الإرهاب الإسلامي، وليس الفقر والفساد اللذين يغذّيانه. أما بالنسبة لشعوب جنوب شرق آسيا؛ فإنّ الإرهاب موضوع ثانوي، وأثر جانبي لصعود الأصولية الدينية في أوساط المسلمين الفقراء وغير المتعلّمين. وقد ظلّ الكونغرس الأميركي إلى حدٍ بعيدٍ غير معْنيٍ بالمعركة بين الإصلاحيين الديمقراطيين والمتشددين الدينيين في العالم الإسلامي. وكذلك الأمر فيما خصّ الصراع الوحشي بين الإثنية الإسلامية والمسيحيين في جنوب الفيلبين، وبين المسلمين والبوذيين في جنوب تايلاند. وطالما ظلّت الولايات المتحدة في صراعٍ يبدأ ولا ينتهي مع الإسلام الراديكالي؛ فإنّ نواحي جنوب شرق آسيا ستبقى ضحيةً لذلك التعارُك، وتجاهُل هذا الإقليم غلطةٌ كبرى. ويكونُ على واشنطن ليس أن تفهم وتُتابع السياسات والاقتصادات التي تتبعها الحكومات في الإقليم، وحسْب؛ بل وأن تفهم أيضاً الميول والكراهيات والاحتياجات والرغبات لدى تلك الشعوب.

الرباط الأخضر:

ظلَّ مسلمو جنوب شرق آسيا لمدة أربعة قرون، منفصلين عن زملائهم من المسلمين العرب. بيد أنّ هذه الافتراقات تتضاءل وتتراجع جزئياً في أندونيسيا وماليزيا، حيث يُصعِّدُ الأصوليون من ضغوطاتهم لإحلال الشريعة محلّ الترتيبات الدستورية. وقبل ثلاثة عقود، عندما كانت الولايات المتحدة منهمكة بمكافحة الشيوعيين في فيتنام؛ فإنَّ الغالبية العظمى من مسلمي جنوب شرق آسيا كانت ضمن خطّ الاعتدال. كانت الشريعة محصورة التأثير في الحياة الخاصة، أمّا الشؤون العامة فكانت تحكمها القوانين المدنية. ما كان الرجال يُربُّون لحاهُمْ إلاَّ نادراً، وكان كثيرون منهم يشربون، ويتعشَّون مع أصدقائهم من غير المسلمين ولا يؤدُّون فريضة الصلاة. وكان النساء يملْن لتغطية رؤوسهنّ، لكنّ معظمهنّ ما كُنّ يضعْن النقابَ على وجوههنّ. وكان الناس يُحيّون بعضهم بلغاتهم المحلية، ولا يخطر ببال معظمهم إلقاء التحية العربية/الإسلامية: السلامُ عليكم! كما كانوا يتحدثون عن أنفُسهم غالباً بوصْفهم أندونيسيين ومالاويين، ونادراً ما تخاطبوا باعتبارهم مسلمين.

ولا شكّ أنّ أكثر هذه المظاهر والظواهر تراجعت في العقدين الأخيرين، في حين يتّجه كثيرون إلى الشرق الأوسط لإعادة التأكيد على الهوية الدينية. وهكذا يفقد الاعتدال مسوِّغاته الأخلاقية العالية، وصار كثير من المسلمين يعبترونه أداةً من أدوات السيطرة

الغربية. وبالتدريج فإنّ كثيرين من هؤلاء يريدون أن يلعب الدين دوراً أكبر في السياسة والحكم - وهذا اتجاهٌ يسمّيه السفير في الخارجية السنغافورية تومي كوه، ووزير الخارجية جورج ييو (الرباط الأخضر) الناجم عن الوهّابية المتشدّدة! ففي العقود القليلة الماضية، شارك المتدينون العرب بقوة في تربية الشباب الأندونيسيين والسيطرة على نشأتهم، ممَّا قرّب المسافة بين هاتين الدائرتين من دوائر الإسلام الكبرى. لقد تدفقت على أندونيسيا وماليزيا أموالٌ هائلة لبناء المدراس الدينية والمساجد. وتجد هذه الممارسات استجابة متزايدة لدى الشبان في أندونيسيا وماليزيا، الذين يعتبرون العرب متقدمين عليهم في معرفة الإسلام، كما أنّ كثيرين منهم لا يستطيعون تحمُّل نفقات التعليم المدني أو التعليم الديني الرسمي.

في أواخر العام 2007م قضينا ثلاثة أشْهُرٍ نتجول في جنوب شرق آسيا، لجمع موادّ ومعلومات من أجل كتابنا عن الإسلام في تلك الأصقاع. وقد لاحظنا أنه في حوالي العشرين مقاطعة من مقاطعات أندونيسيا الأكثر فقراً وإهمالاً؛ فإنّ رجال الدين المتشددين، والضباط المحليين، نشروا التعاليم الشرعية، وضربوا أُسُسِ النظام المَدَني للحياة. في بولوكومبا، وفي جزيرة سولا وازي، تبدو هذه العملية متقدمة وبعيدة المدى. فكلُّ النساء مطلوبٌ منهنّ أن يرتدين غطاء الرأس، كما أنه مطلوبٌ من الرجال أن يقتطعوا من كسْبهم ومرتباتهم 2.5% من أجل الفقراء. أما الأطفالُ فالمطلوبُ ممن يبلُغُون السابعة من بينهم أن يُحسنوا قراءة القرآن بالعربية، قبل أن يدخلوا إلى المدرسة الابتدائية. أما يافطات الشوارع وأسماءها المكتوبة بالحروف اللاتينية فإنها نُحّيت لصالح يافطاتٍ بحروفٍ عربية، بخلاف المعروف في بقية أجزاء أندونيسيا. والبيرةِ التي كانت موجودةً في بعض المحلاّت والمطاعم التي يقصدها الأجانب، صارت ممنوعةً في كلّ الأماكن. أما االحكومة المركزية، التي تخشى ردود فعلٍ سلبية إذا تدخَّلت؛ فإنها تُديرُ وجهها باتِّجاه آخَر.

تجفيف المستنقعات:

لا تستطيع القوى الأمنية المتجهة لمكافحة الإرهاب، أن تكسب قلوب مسلمي جنوب شرق آسيا. بل يكونُ على الحكومة الأميركية أن تهتمّ لأمر الفقر ونقص التعليم، وهما المسألتان اللتان تجعلان من المنطقة أرضاً خصبة لدُعاة الإرهاب والمتشددين الدينيين. والواقع أنّ صنّاع السياسة الأميركية، والأكاديميين والصحفيين، والذين يعرفون عن الصواريخ البالستية والدفاعية أكثر ممَّا يعرفون عن بناء المدارس الجديدة؛ هؤلاء خائفون من الاتّهام بأنهم لا يناضلون ضدَّ الإرهاب بما فيه الكفاية. وهم بالتالي قد يرفضون هذا النوعَ من التفكير لأنهم يعتبرورنه بمثابة سهمٍ أُطلق باتجاه السماء. بيد أن هذه الأفكار ليست أفكارنا نحن؛ بل إنها ضغوطٌ علينا قوية وكبيرة، يتحدث بها رؤساء ورؤساء وزارات وجنود ورجال دين وطلاّب ومزارعون، وحتى بعض الإرهابيين المتقاعدين.

فقد قال لِنا جوونو سودارسونو وزير الدفاع الأندونيسي قبل انتخاب أوباما: إنّ فكرة العمل بدأبٍ وتواضُع وعلى المدى الطويل وبكفاءةٍ ومسؤوليةٍ، قد لا يمكن إقناعُ

الأميركيين بها. لكن ومع الوقت فإنّ مُساعدَتنا دون الظهور بمظهر مَنْ يدفعُ لنا للقيام بعملٍ قبل القيام به - ذلك سوف يدعمنا ويفيد مصالحنا ومصالح الولايات المتحدة. إنّ ما يحتاج إليه فتيانُ جنوب شرق آسيا في نظر سودارسونو، هو فرَص العمل: فالعمل هو الذي سوف يُعينُ على استعادة الهوية والاحترام. كما أنّ العمل سوف يقوّي إحساسَهُم بالكرامة والقيمة الفردية.

إنّ لدى الجهاديين الأندونيسيين اعتقاداً أنهم إنما يخوضون حروباً عادلةً لإحياء شباب الإسلام الذي اشتدَّ ضَعْفُهُ، والعدوُّ في الوصول إلى هذا الهدف هو الولايات المتحدة الأميركية. وفي يد إدارة أوباما تغيير هذه الذهنية، التي تسببتْ في تجذُّرها إدارة بوش السابقة. وذلك من طريق دفع أولئك الشبان في طريق التعلّم والتدريب والعِمل. وهؤلاء هم الذين سمّاهم رئيس وزراء سنغافورة السابق لي كِوان يو: رافضو الأمَل! أي الفقراء والشبان وغير المتعلمين - وهم الفئات الأكثر استجابة لدعوات الإرهابيين. لقد قيل لنا: إنّ الرئيس جورج بوش أعلن الحرب على الإسلام. والقائل هو فريهين بن أحمد في إحدى القهاوي البعيدة بضعة أميال عن مكتب سودارسونو. ومعنى إعلان الحرب بالنسبة إلى ابن أحمد أنّ الولايات المتحدة تعتبر كلَّ المسلمين أعداءها؛ ولذا فهي تريد إبادتهم عن بكرة أبيهم! أمّا فريهين نفسه، والبالغ من العمر 41 عاماً، فقد مارس التدريب على الجهاد لثلاث سنواتٍ في التسعينات في معسكرٍ على الحدود الباكستانية - الأفغانية، يموّله أسامة بن لادن. وفي العام 2000م، قام فريهين وأعضاء في (الجماعة الإسلامية) (وهي فرع أندونيسي للقاعدة) بوضع قنبلة خارج السفارة الفيليبنية بجاكارتا. وقد أدّى الانفجار إلى قتل اثنين، وجرح أكثر من عشرين من بينهم سفير الفيليبين. وما لاحظ أحد نشاطات فريهين إلاّ بعد سِنتين عندما قبضت عليه قوات الأمن وهو يحاول القيام بأعمال عُنْفية ضد المسيحيين. وقد أُطلقِ سراحُهُ عام 2004م وما يزال تحت مُراقبة الشرطة. لكنه ما يزال يعتبر نفسَه مُشاركاً في الحرب على (الهيمنة الأميركية) ومن خلال الدعاية والدعوة، وليس من خلال حَمْل السلاح والقنابل. ويذهب رجال الأمن الأندونيسيون إلى أنّ مُراقبة نشاطات المتورطين في الإرهاب، أفضل من سجنهم، لأنهم في السجون يستطيعون كسْب أنصار آخَرين. وقد نظمت سنغافوره برنامجاً آخر من طريق إرسال رجال الدين المسلمين المعتدلين إلى المسجونين بسبب أعمال إرهابية. وتشير الدِراسة المطولة التي نشرتها وزارة الداخلية السنغافورية إلى أنّ هذه التجربة تُثبتُ حصول بعض النجاحات.

ما وراء عدالة الجبهة:

ودانيلو بوكوي قاضي كاثوليكي يعمل في قلب جنوب الفيلبين حيث الثَوَران الإسلامي. وهو يدعو الحكومة الأميركية إلى الانتباه أكثر لمشكلات الفقر والجهل، بدلاً من التركيز وحسْب على مكافحة قلةٍ من المسلحين. وأن يأتي هذا المقترح من بوكوي -الذي حكم على 17 من عصابة أبي سياف بالإعدام- هو أمرٌ له دلالتُهُ القوية. ويتابع دانيلو بوكوي: إنّ هذا المكان يشبه الصورة عن (الغرب المتوحِّش) عندكم. لكنّ الوضع صار أفضل عندما حضر الأميركيون وبدأوا ببناء الطرق، وتطوير المشروعات. وكان يقول ذلك وهو

يحاول إخفاء مسدَّسه (كولت 45) عندما كنا نتحدث أمام منزله. وما يذكره بوكوي هو عبارة عن مئات من الجنود من القوة الخاصة الأميركية، والذين يتعاونون مع الجنود الفيليبيين من المُشاة وسلاح البحر، والذين طوّروا أخيراً مشروعاً مدنياً كبيراً يخاطبون به حاجات الناس، لإبعادهم عن جاذبية الإرهابيين ودعواتهم: وهذا يعني أنك لن تستطيع القضاءَعلى الإرهاب بالوسائل العسكرية فقط.

وهناك توجُّهات أُخرى طبعاً في الولايات الأميركية تُجاه استخدام العنف من جانب الراديكاليين الإسلاميين ضد الولايات المتحدة. فألان كروغر A. Kruger أستاذ الاقتصاد بجامعة برنستون - ووليام بتمنْ أستاذ الأنتروبولوجيا بجامعة مينسوتا - وديفيد لايتن أستاذ العلوم السياسية بجامعة ستانفورد - هؤلاء جميعاً لا يعتقدون أنّ راديكاليي الإسلاميين يختارون العنف بسبب الفقر؛ بل إنما يتصرفون هكذا حقداً على الولايات المتحدة. فلا أحد من الذين هاجموا الولايات المتحدة في 11/9/2001م نشأ فقيراً. بيد أنّ هناك كثيراً من المراقبين يقولون إن علينا أن نُفَرِّقَ بين القادة الراديكاليين، وأولئك الذين يتبعونهم بشكلٍ أعمى. فصحيح أنّ بعض قادة جماعة أبي سيّاف ومجموعات الأصوليين بالفيلبين هم من المتعلمين ومن الطبقة الوسطى؛ لكنّ الكثرة الساحقة من أتباعه هم من الأميين والعاطلين عن العمل، وقد اندفعوا باتّجاه العنف نجاةً من حياتهم البائسة. يقول القاضي بوكوي: هناك قلة قليلة مغسولة الدماغ وتتبع أيديولوجيا معينة. لكنْ نادراً ما نجد أحداً من هؤلاء يعرف شيئاً عن الإسلام! وقد حكم على البعض بحسب القانون، لكنه يعتقد أنّ أكثرية ممارسي العنف يمكن أن تتصرف عنه بتحسين شروط حياتها. وهكذا فإنّ بوكوي يعتقد أنّ الدوافع للعنف لدى معظم ممارسيه ناتجة عن الفقر والجهل، وليس عن اعتناق أيديولوجيا معينة.

ولكي يتقدم الباحث في فهم أسباب العنف، عليه أن يتجول في الأرياف الفقيرة في جنوب شرق آسيا، وفي الشوارع الخلفية لمدن تلك النواحي الشاسعة. فوراء ناطحات السحاب التي تُحبُّ النُخَب أن يراها الأجانب، هناك الشوارع الخلفية للمدن، ببيوتها البائسة، والشبان المتسكعين على أبوابها يدخّنون، وينظرون في الفراغ اللامتناهي. وهؤلاء الشبان يكون على واشنطن أن تكسبهم قبل أن يفعل ذلك الأصوليون. وهناك أسبابٌ أُخرى لصعود الأصولية في جنوب شرق آسيا. ومن ذلك فإنّ المنطقة باستثناء ماليزيا التي نهضت اقتصادياً بسرعة- تشعر فئاتٌ واسعةٌ من سُكّانها أنّ العالم تركهم في القرن الماضي، واندفع باتجاه المستقبل في القرن الحادي والعشرين. وهم لا يستطيعون التذمر من حكّامهم هناك، والإدارات السلبية. وهم غاضبون أخيراً من الولايات المتحدة وفي عهد إدارة بوش على الخصوص، لما يعتبرونه معايير مزدوجة في التعامُل مع إسرائيل. ومع ذلك فهناك دلائل على أنّ الأعمال الحسنة والنوايا الطيبة يمكن أن تُثمر بسرعة. فعلى أثر أعاصير تسونامي الآتية من المحيط الهندي عام 2004م، تقدمت الولايات المتحدة بإغاثاتٍ كبرى. ورغم أنّ ذلك حصل في إدارة بوش؛ فإنه ترك آثاراً طيبة. إنما بسبب عدم المتابعة فإنّ الآثار والتداعيات تراجعت إيجابياتُها في المشاعر والأقوال. ومن حسن الحظّ؛ فإنّ المبادرة الواعدة بدأت بعد خمسة أَشْهُرٍ على أحداث 11/9/2001م عندما بدأت وزارة

الدفاع الأميركية عملية عسكرية/مدنية على جزيرة باسيلان في الفيلبين، حيث يعيش القاضي بوكوي. وذلك؛ لأنَّ التمرد الإسلامي بدأ هناك في مطالع السبعينات، حيث خلّفتْ 120 ألف قتيل، وترك حوالي 300 ألف ديارهم، وقُدّرت الخسائر في الممتلكات بـ3 مليار دولار. وهدفت المبادرة الأميركية إلى تلبية احتياجات الأقلية المسلمة هناك، والتي تعبتر أنّ الأكثرية المسيحية استغلتْها وظلمتْها. وتمثّلت الخطط بترقية قطاع التعليم، والعناية الطبية الأساسية، وتحسين البُنى التحتية، وتزويد المنازل بالمياه النظيفة، والاستثمار في الأعمال الصغيرة التي تخلقُ فُرَص عمل، في كل جنوب الفيلبين وإلى جنوب شرق آسيا وجنوب القارة وحتى الشرق الأوسط. ولا تستطيع القاعدةُ ان تُنجز شيئاً في هذا الأمور؛ ولذا فإنّ تلك العمليات البنائية حريةٌ بأن تضرب جاذبية المتطرفين في تلك النواحي. ولذا فإنّ خطوات الجنرال بترايوس بالعراق عام 2007م إنما اتخذت من الأعمال بجزيرة باسيلان نموذجاً. والمعروف أنّ الجنرال باتريوس -قائد القيادة المركزية اليوم- مُعجَبٌ بكتاب مورتنسون بعنوان: ثلاثة أكوابٍ من الشاي، وهو بمثابة تقريرٍ مستنيرٍ عن الأعمال المدنية البانية في جهات أفغانستان وباكستان الفقيرة، منذ العام 1993م. بيد أنّ خطوة جزيرة باسيلان مهدَّدةٌ أيضاً. لأنه منذ غادرها الأميركيون إلى الجزر الأخرى فإنّ جماعة أبو سياف عادت للعمل فيها. وهذا يُثبتُ أنّ المبادرات المجدية لكي تنجح لا بُدَّ أن تستمرّ.

الثورة غير المرئية:

أندونيسيا والفيلبين ليستا البلدين المهدَّدين الوحيدين في جنوب شرق آسيا. فعبر جنوب بحر الصين، هناك موقفٌ يتطور إلى الاسوأ في إقليم البتاني ذي الأكثرية المسلمة والتابع لتايلاند. فهناك، وعلى الحدود مع ماليزيا ذات الأكثرية المسلمة، سقط خلال السنوات الخمس الماضية زُهاء الـ 3500 قتيل بين البوذيين والمسلمين، الذين يذبح بعضُهم بعضاً. إنّ النزاعات الإثنية المدمِّرة في عصر ما بعد الاستعمار معروفة، وأشهرها المذابح بين الهندوس والمسلمين عند تقسيم الهند (1947-1948). والمسلمون بملايينهم الستة في تايلاند، والذين يناضلون من أجل الاستقلال لقرابة القرن، ما حظوا باهتمام أحدٍ في الغرب. ويراقب المسلمون التايلانديون ازدهار إخوانهم بماليزيا عبر الحدود؛ في حين يعيشون هم في فقرٍ وعنفٍ وتعاسة. ولا يكاد يمرُّ يومٌ بدون إطلاق نار وطعنات وقطع رؤوس في النزاعات ومن الطرفين. وتدمَّر في عمليات العنف المعابد البوذية والمساجد والمدارس. وهذا تمردٌ كبيرٌ بكل المقاييس. ويمكن إعادة أصول التمرد المسلم بتايلاند إلى العام 1909م حين ضُمَّ الإقليم إلى تايلاند. بيد أنّ العنف الحقيقيَّ اندلع في 7 أبريل عام 2001م. ففي ذلك اليوم جرى تدمير محطة قطار وفندق ومحطة بنزين في الجنوب. وأمر رئيس الوزراء وقتها تاكسين شيناواترا بإنهاء العنف بسرعة، وبالقوة العارية. وقد كان ذلك البليونير يعتقد أنّ الردَّ العنيف كفيلٌ بإخضاع المسلمين، لكنه كان مخطئاً في ذلك. ففي يناير عام 2004م سيطر الثوار المسلمون على معسكرٍ للجيش وصادروا كمياتٍ من الأسلحة. ثم في 25 أكتوبر من العام نفسه، وبينما كان ألفا مسلم يقومون بتظاهُرةٍ سلمية أمام مركزٍ لقوات الأمن، سارع الجيش إلى قتل سبعةٍ منهم، وقبض على مئاتٍ من

المتظاهرين في قرية تاك باي، ووضعهم في شاحناتٍ ظلت تدورُ بهم عُراةً تحت أشعّة الشمس الحارقة، إلى أن اختنق منهم 78 شاباً. وزاد الطين بلّة قول شيناواترا إنهم ماتوا لأنهم كانوا ضعفاء بسبب صومهم في رمضان! وتصاعدت دورات العنف والمذابح من الطرفين منذ ذلك الحين، رغم قيام الجيش -بقيادة جنرالٍ مسلم- بانقلابٍ على شيناواترا في سبتمبر عام 2006م.

يقظة واشنطن:

بعيداً عن ساحة المذبحة في تاك باي، وإلى الشمال في بانكوك - قال لنا سورين بتسوان، الخبير بثوران البتاني، الإقليم الإسلامي بتايلاند: إنّ واشنطن تستطيع مساعدة تايلاند للخروج من مأزق الصراع الإثني والديني إن أرادتْ. ويتحدر سوريين من عائلةٍ مسلمةٍ متديّنة، تُدير مدرسة خاصة Pondok للتعليم الديني الإسلامي. وقد حصل على الدكتوراه من جامعة هارفرد عام 1982م، وعمل في حملةٍ للسيدة فيرارو التي كانت مرشّحة لنيابة الرئاسة. ثم عاد إلى بلاده وعمل في التعليم، وترشح للبرلمان ونجح عام 1985م، وصار وزيراً للخارجية عام 1997م، ثم سكرتيراً عاماً لأسيان ASEAN (منظمة جنوب شرق آسيا) عام 2008م. ويرى سورين أن المسلمين يُعانون من آثار العولمة، ومن الضغوط عليهم بوصفهم أقلية، ولديهم الانطباع أنّ الولايات المتحدة تتجاهلُهُم بل تُعاديهم. ولذا فإنّ هذا الانطباع ينبغي أن يُعالج بإجراءاتٍ على المدى الطويل.

والأولويةُ الأُخرى للمسلمين في تايلاند هي النزاع الإسرائيلي/الفلسطيني. إذ يقول سورين إنّ المسلمين هناك وبدون استثناء يعتبرون الولايات المتحدة مُعادية للفلسطينيين لحساب إسرائيل الجانية والمعتدية. وقد فوجئوا مفاجأةً سارَّة بانتخاب باراك حسين أوباما لرئاسة الولايات المتحدة. وقدَّروا ضغوط الإدارة على إسرائيل لوقف الاستيطان. وهكذا فإنّ مسلمي أندونيسيا والفيلبين وتايلاند، يأمُلون أن تتغير السياسات الأميركية تُجاههم وتُجاه قضية فلسطين.

لقد أتت الإشارات الأُولى من واشنطن واعدةً ومبشِّرة. فخلال ستة أشهرٍ زارت هيلاري كلنتون وزيرة الخارجية المنطقة مرتين. في جاكارتا أعلنت عودة فرَق متطوعي السلام الأميركيين بعد غياب 34 عاماً. وفي تايلاند وقّعت مع أسيان اتفاقية الصداقة والتعاوُن، والتي استشرعتْها أسيان عام 1976م. وكانت الإدارات الأميركية السابقة قد رفضت التوقيع؛ لأنَّ أسيان رفضت الاشتراك في العقوبات على ميانمار(=بورما) وحكومتها العسكرية. فالمبدأ الرئيسي للسياسة الأميركية في المنطقة ينبغي أن يكون: (القوة الناعمة) التي لا تتجاهل القوة العسكرية، لكنها لا تستعملها بل تستعمل المساعدات والاستثمار والتجارة الحرة، وقبل كل شيء: التعليم والتدريب. فمنذ العام 1997م تراجع عدد الطلاب الأندونيسيين بالولايات المتحدة من 13 الفاً إلى 7700! وذلك بسبب إجراءات الفيزا المعقَّدة. وإذا كانت الولايات المتحدة تريد الاقتراب من الشبان المسلمين؛ فإنّ الحيلولة دون التعلُّم بأميركا تُرسل الرسالة الخطأ. لا بد من تزويد الشبان المسلمين بالتعليم المتقدم،

والعمل معهم من خلال متطوعي السلام الأميركيين، وليس من خلال الدبلوماسيين أو العسكريين. وعلى الولايات المتحدة أن تتخلى عن السفارات الحصينة كالقلاع في العواصم، وتلجأ للقنصليات التي يشغلها موظفون يعرفون اللغات المحلية، في المدن الصغيرة.

ويرفض سورين بالطبع أن يكون المسلمون في جنوب شرق آسيا جزءًا من مؤامرةٍ أصوليةٍ عالميةٍ على الغرب والحضارة. بل إنه -وكما ذكر في أطروحته للدكتوراه عام 1982م- يعتبر أنّ النزاعات السياسية والإثنية، تعكس نفسها بطرائق أعمق على الأقليات. وهم يتأثرون بظروفهم المحلية بالطبع، لكنهم يتأثرون أيضاً بمصاب إخوانهم في فلسطين وغيرها. ولذا فإنّ بعض شبانهم قد يلجأون تلقائياً للعنف؛ وبخاصةٍ إذا كانت وسائل الاحتجاج السلمي غير مُتاحة.

أما اليوم فيقول سورين: إنّ من واجب الولايات المتحدة أن تعمل أولاً على تهدئة الغَلَيان - وذلك لأنه منذ حَدَث 11/9/2001م فإنّ مشكلات الشرق هي نفسُها مشكلات الغرب.

****

*) مقالة مأْخوذة من مجلة Foreign Affairs-52، عدد نوفمبر/ديسمبر 2009م، ص63.